الوحدة 1– المحاضرة 3

المقاربات بين المدارس التاريخية

أولا– مقاربات بين المدارس التاريخية الاسلامية:

بالرغم من تنوع المدارس التاريخية الاسلامية في التعامل مع التدوين التاريخي، إلا أنها ربطتها مجموعة من نقاط التلاقي، والتقارب، نبرزها في الآتي:

–ويظهر أول محور للتقارب الكبير بينها في الاشتراك في المنطلقات الذي يمثلها "الحدث التاريخي"، حيث بحثت عن إثباته عبر مصادره وتشابه الرؤى، والسعي إلى ذات الغايات، فمدرسة المدينة انطلقت من السند سواء الفردي أو الجماعي لإثبات الحدث التاريخي، وتتلاقى بذلك مع باقي المدارس الاسلامية، على أننا نشير إلى بعض الانقطاع في التقارب في فترات زمنية مثلها بعض المشاهير الذين تخلوا نسبيا عن السند، واعتبروه غير مهم لتدوين التاريخ، لكن الأكيد أن التقارب بين المدرستين العراقية والحجازية قد برز بشكل أوضح في تأثر أهل العراق بروايات وأسانيد نخب المدينة، واعتماد مروياتهم ضمن كتبهم التاريخية؛

–كما يتجلى التوافق ما بين المدارس الاسلامية في تفسير تاريخ الأمة الاسلامية الممثل بـ:"البعد الديني" في صورة ثلاثية: المغازي، سيرة النبي وصحابته، والفتوح، وهذا التفسير طبع على محتويات المصنفات التي برزت خلال الفترة المتقدمة من العصر الوسيط ببلاد المشرق، وحتى الغرب الاسلامي، لكن مع كل ما حملته شخصية المؤلف كما هو الحال مع مدرسة العراق التاريخية، والذين حاولوا في ظل هذا الزخم الديني إدخال بعض المفاهيم المتعلقة بالمذهبية، وهو ما أنتج تاريخا أعرجا، يحتاج بشكل مستمر إلى التريث عند الاعتماد عليه بالبحوث التاريخية؛

–ومن أوجه التقارب التي رصدناها –أيضا– بين المدارس التاريخية الاسلامية، ما برز بين المدرستين العراقية واليمينة فيما تعلق بمنهج التباهي والافتخار بالماضي، وهو منهج طغى بشكل واضح في الكتابة التاريخية للمدرستين،

وهذا التفاخر برز في اليمن بين عرب الشمال والجنوب، فعرب الشمال تفاخروا بالنبوة والاسلام والخلافة، أما عرب الجنوب اليمنيون فقد تفاخروا بتاريخ أسلافهم وماضيهم، وخير النماذج في هذا كتاب "الفاصل بين الحق والباطل من مفاخر قحطان واليمن"، كما سيطغى هذا الفكر على رواد مدرسة اليمن في شاكلة الحسن ين يعقوب الهمداني الصنعاني؛ ويتقارب معهم نخب مدرسة العراق عندما تحزبوا كل لقبيلته، فأبو مخنف لوط بن يحي كانت ميولاته نحو قبيلة أزد، وتوجه عوانة في كتاباته إلى قبيلة بني كليب، أما سيف بن عمر فقد مال لقبيلته التميمية، هذا المنهج الخاص في الكتابة التاريخية، نجد له حضور في مدرسة الفرس التاريخية، فعم بين نخبهم التاريخية الافتخار بثقافة الفرس وتراثهم القديم، وفي مقدمتهم يأتي عبد الله بن المقفع؛

–وتتلاقى كلا المدرستين في جوانب اكثر حينما مالوا في منهج الكتابة إلى القصص الاسرائيلية والخرافية، ويظهر ذلك في مدرسة اليمن مع عبيد بن شرية، ووهب بن منبه، ويقابله في مدرسة العراق عامر بن شراحيل بن عبيد الشعبي، وسنلاحظ تأثر عدد من رواد المدارس التاريخية الأخرى مع هذا التوجه، كما هو الحال مع عبد الله محمد

بن إسحاق بن يسار المطلبي، الذي يعد أحد رواد مدرسة المدينة التاريخية في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، والذي حاول إدخال القصص الشعبي بكتاباته تأثرا بوهب بن منبه اليماني، هاته الشخصية العالية في مجال الاسرائيليات وعلمه باللغة السريانية والعبرية.

-تقارب آخر لمسناه يتعلق بفكر إبراز "النسب"، سيتولد عن العصبية القبلية، ولحمة النسب بحسب ابن خلدون هو:" الذي يوجب صلة الأرحام حتى تقع المناصرة والنعرة وما فوق ذلك مستغنى عنه..."[1]. وهذا الفكر الذي سيتحول إلى علم عند العرب تجلى تقاربه بين الكثير من المدارس المشرقية خاصة، نتحدث عن تلاقيه بين مدرستي اليمن والعراق تحديدا بمختلف حواضر نخبها التاريخية ورواد مدارسهما، ويأتي في مقدمتهم علي بن محمد المدائني، وابن السائب الكلبي من مدرسة العراق، ويقالبهم عبد الرزاق بن همام الحميري الصنعاني من اليمن، وتنتقل إلى الغرب الاسلامي للتقارب التوجهات مع ابن حزم الأندلسي.

-ومن أوجه التقارب التي رصدناها اعتماد التأريخ الحولي (الكرونولوجي) المتسلسل في عرض الاحداث وتدوينها، وهذا المنهج نجده بداية بمدرسة المدينة بمتقدمها أبي معشر نجيح، وحافظت مدرسة العراق التاريخية على تقاربها مع مدرسة المدينة في هذا التوجه، فنجد أبي مخنف لوط قد إعتمد التسلسل الزمني التاريخي للأحداث مؤلفات، وخليفة بن خياط العصفري الذي يعد السباق في تدوين تاريخ الحوليات في العراق، وهذا ما نلحظ تلاقيه مع الشامي محمد بن عبد الله بن الجنيد الرازي، والمصري شمس الدين السخاوي، واليمني بن جرير الطبري الصنعاني صاحب كتاب "تاريخ صنعاء".

ثانيا– مقاربات بين المدارس التاريخية الغربية:

بالرغم من تنوع أفكار ومناهج المدارس التاريخية الغربية وتباين حضورها زمنيا، إلا أننا وقفنا على عدد من نقاط التقارب، والتلاقي، نوضحها كالآتي:

-أول نقاط التقارب بين المدارس التاريخية الغربية هو "الانسان" كعنصر أساسي في التاريخ، ومحورا هاما في تكوين مدارسهم، كما هو الحال مع المدرسة الانسانية الذي أصبح فيها الانسان عماد أيديولوجيتها، وتتلاقي في طرح أهمية الفرد مع المدرسة الماركسية ذات البعد المادي، والذي ربط الجماهير في صنع التاريخ، وجعل الانسان ضمن حلقة التحقيب–الانسان–الاقتصاد؛ وهذا التقارب نجده مكتملا مع المدرسة العقلانية التي ربطت بين مصطلحي "التاريخ الشامل" و "جوانب حياة الانسان"؛ ويتقارب هذا مع مفهوم المدرسة التاريخانية اليت نشأت كردة فعل على الوضعانية، أين ربطت بين مصطلح التاريخ و الحالة الذهنية والمفاهيم التي جعلت الانسان يتصرف.

-من أوجه التقارب الاخرى التي نلحظها هو "الوثيقة" كمصدر للحقيقة التاريخية، وتدوين الحدث التاريخي، وهذا المنهج التوافقي بالرغم من محتوياته وتفسيراته داخل كل مدرسة، إلا أنه يوجد تلاقي يخصه في مدرسة الوضعانية

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 161.

(تخصيص الوثائق)، ومدرسة الحوليات (تعميم الوثائق)، والمدرسة الانسانوية استنطاق مصادر جديدة للحدث التاريخي في صورة الآثار القديمة والمخطوطات في خزائن الكنائس والأديرة، والمسكوكات، والبرديات، والنقائش؛

-من أوجه التلاقي التي وقفنا عليها هو تقارب المدرسة الفلسفية الجدلية لهيجل مع أفكار المدرسة المادية بممثلها ماركس، والتي تقر بأن الوجود المادي هو الذي يحدد الوعي، وأن العالم قائم منذ الأزل لكنه مستقل عن الوعي، فلا خالق له، ولا حدود زمانية له، وأن كل هذا تحكمه الواقعية المادية[2]. هذا التفسير الفسلفي نجده يتكرر في تقاربه بين الدرسة البنيوية ومدرسة فرويد النفسية بخصوص فكرة القائلة بأن الانسان لا يحركه الوعي أحيانا، وإنما يحركه اللاوعي الذي يحتل الجنس مكانة هامة داخله؛

- وتتلاقى المدرسة البنيوية مع المدرسة الماركسية حول الفكرة التي تقول إن حقيقة الانجازات البشرية مدفونة تحت ستار الايديولوجيا؛

-كما تتلاقى أفكار البنيوية مع علوم الطبيعة حول فكرة اختزال التنوع الشديد للإنجازات البشرية إلى عدد من العناصر والقوانين، ولعل أكبر نجاح حققته البنيوية كان في مجال اللغة؛

ثالثا- مقاربات بين المدارس التاريخية الاسلامية والغربية:

وقفنا على عدد من نقاط التقارب بين المدارس التاريخية الاسلامية والغربية، على أن هاته النقاط التي استنبطناها لا تمثل التقارب التام، لكنها تمثل التلاقي الذي يتباين داخل كل نقطة تلاقي بينهما، والباب مفتوح لاستكشاف نقاط تقارب أخرى، ونوجزها في الآتي:

-استخدام النقد التاريخي: الاسلامية=الجرح والتعديل / الغربية= النقد الظاهري والباطني.

-الانسان محور التاريخ: يتلاقى هذا المفهوم في كلا المدرستين.

-التدوين التسلسلي للحدث: الاسلامية=التأريخ الحولي/الغربية=الكرونولوجيا.

-مصادر الحدث التاريخي: الاسلامية= الروايات والسند/ الغربية= الوثيقة.

-الصفات البشرية (القرابة): الاسلامية= فكر ابن خلدون/ الغربية: المدرسة البنيوية.

-التاريخ علم يستند على مناهج: الاسلامية= منهج أهل الحديث../ الغربية: مناهج البحوث الانسانية والطبيعية.

---

[2] الهادي التيمومي، المرجع السابق، ص 123-124.